حياة أعظم الرسل

محمّد يهاجر من مكّة

مُحَمَّدٌ يُهَاجِرُ مِنْ مَكَّة

فِى السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ رِسَالَةِ مُحمدٍ أَتَى مِنَ الْمَدِينَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّائِرِينَ لِزِيَارَةِ الْكَعْبَةِ ، وَعِبَادَةِ الْأَصنامِ فِيهَا .

عَلِمَ الرَّسُولُ بِالْمَكَانِ الَّذِى نَزَلَ فِيهِ الزَّائِرُونَ بِمَكَّةَ ، فَذَهَبَ لِزِيَارَتِهِم لَيلاً ، وَأَخبَرَهُم بِأَنَّ اللهَ قَدِ اختَارَهُ رَسُولاً ، لِهِدَايَةِ الْعَالَمِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسلَامِ فَأَسلَمُوا . وَآمَنُوا بِالْمَبَادِئِ الإِسلَامِيَّةِ

الَّتِى ذَكَرَهَا لَهُم الرَّسُولُ . وَهٰؤُلاَءِ هُم أَوَّلُ مَن غَرسُوا مَبَادِىءَ الإِسلاَمِ فِى المَدِينَةِ ، الَّتِى صَارَتْ فِيمَا بَعدُ مَركَزًا وَحِصْنًا لِلْإِسلاَمِ . وَقَبلَ مُضِىِّ سَنَةٍ اعتَنَقَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِن سُكَّانِ الْمَدِينَةِ الْإِسلاَمَ . وَفِى السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِن رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ حَضَرَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ لِزِيَارَةِ مَكَّةَ ، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَقَابَلَهُم مُحمدٌ سِرًّا ، وَاعتَنَقُوا الإِسلاَمَ ، وَدَعَوْا مُحمدًا أَن يَذهَبَ مَعَهُم إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَآمَنُوا بِالْمَبَادِىءِ الْإِسلاَمِيَّةِ

الَّتِى دَعَاهُم لِلْعَمَلِ بِهَا ، وَقَد كَانَ الْعَبَّاسُ عَمُّ الرَّسُولِ حَاضِرًا فِى ذٰلِكَ الاِجتِماعِ ، وَاعتَقَدَ أَنَّ ابنَ أَخِيهِ سَيَحتَاجُ فِى الْمُستَقبَلِ إِلَى مَن يُدَافِعُ عَنهُ وَيَحْمِيهِ ، بَعدَ أَن مَاتَ أَبُو طَالِبٍ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِلْمُسلِمِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ : إِنَّكُم تَعلَمُونَ أَنَّ مُحمدًا كَرِيمُ الْأَصلِ ، وَلَهُ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ فِى الْقُلُوبِ . وَقَد حَفِظَتْهُ أُسرَتُهُ وَأَصْحَابُهُ مِن كُفَّارِ قُرَيشٍ الَّذينَ أَرَادُوا أَن يَقتُلُوهُ . وَهُوَ لاَ يَثِقُ إِلاَّ بِأَهلِ الْمَدِينَةِ . فَإِذَا كُنتُم تَعتَقِدُونَ أَنَّكُم تَستَطِيعُونَ

الْمُحافظَةَ عَلَيهِ وَالدِّفاعَ عَنهُ ، أَمكَنَهُ أن يُجيبَ دَعْوَتكُم ، وَيَذهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ .
وَلٰكِن إذَا كُنتُم سَتَتْرُكُونَهُ بَعدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَالأَفضَلُ أَن تَترُكُوهُ هُنَا مَعَ أَهْلِهِ لِيُدَافِعُوا عَنهُ .

فَقَرَّرَ جَمِيعُ الْمُسلِمينَ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُم سَيُدَافِعُونَ عَنِ الرَّسُولِ بِقُلُوبِهِم وَأَروَاحِهِم ، وَسَيُضَحُّونَ بِحَيَاتِهِم فِى سَبِيلِهِ .

وَقَد عَرَفَ الكُفَّارُ بَعدَ قَلِيلٍ كُلَّ مَا حَدَثَ فِى ذٰلِكَ الاِجتِمَاعِ ، مَعَ أَنَّه

كَانَ سِرِّيًّا . وَانْزَعَجُوا كُلَّ الِانْزِعَاجِ ؛ لِانتِشَارِ الْإِسلَامِ بِسُرعَةٍ فِى الْمَدِينَةِ . وَلِهٰذَا صَمَّمُوا عَلَى مُضَاعَفَةِ تَعذِيبِ الْمُسلِمِينَ . فَأَمَرَهُمُ الرَّسُولُ بِالْهِجرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَأَطَاعُوا نَصِيحَتَهُ ، وَسَافَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فِى جَمَاعَاتٍ صَغِيرَةٍ . وَقَد رَحَّبَ بِهِم هُنَاكَ إِخْوَتُهُم فِى الْإِسلَامِ . وَشَكَرُوا لِلّٰهِ أَن أَعطَاهُم مَكَانًا يَستَطِيعُونَ فِيهِ أَن يَعبُدُوا اللّٰهَ وَهُم آمِنُونَ مُطمَئِنُّونَ .

هِجْرَةُ مُحمَّدٍ ﷺ :

هَاجَرَ مُعظَمُ الْمُسلِمينَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَم يَبْقَ فِى مَكَّةَ إِلاَّ الرَّسُولُ العَظِيمُ ، وَأَبو بَكرٍ وَعَلِىّ وَقَلِيلٌ آخَرُونَ . فَاغتَاظَ كُفَّارُ قُرَيشٍ ؛ لِهِجرَتِهِم إِلَى الْمَدِينَةِ . وَخَافُوا أَنَّهُم سَيَصِيرُونَ قُوَّةً فِى الْمَدِينَةِ ، وَأَنَّهُم فِى يَوم مِنَ الأَيَّامِ سَيَهجُمُونَ عَلى مَكَّةَ . فَتَآمَرُوا عَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الرَّسُولِ ، وَذَكَرَ كُلٌّ مِنهُم رَأْيَهُ ، وَفِى النِّهَايَةِ قَامَ أَبو جَهلٍ وَقَالَ : إِنَّ الشَّجَرَة

الْمَرِيضَةَ يَجِبُ أَنْ تُقطَعَ مِن جُذُورِهَا .
وَإِنَّ الحَلَّ الوَحِيدَ هُوَ أَنْ نَقتُلَ مُحمدًا .
إِنَّنَا الْآنَ نَستَطِيعُ أَن نَقتُلَهُ ؛ فَقَد مَاتَ
أَبُو طَالِبٍ الَّذِى كَانَ يُدَافِعُ عَنهُ ، وَهَاجَرَ
أَتبَاعُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَمَنِ الَّذِى يَستَطِيعُ أَن
يَحمِيَهُ ؟

ثُمَّ وَضَّحَ أَبُو جَهْلٍ رَأْيَهُ فَقَالَ : وَلٰكن
اِعلَمُوا أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ شَخصٌ مُعَيَّنٌ مُحَمدًا
فَإِنَّ أُسْرَتَهُ سَتَنْتَقِمُ مِنَ الْقَاتِلِ وَأُسْرَتِهِ .
وَلِهٰذَا أَنصَحُ لَكُمْ بِأن نَختَارَ شَخصًا
قَوِيًّا مِن كُلِّ أُسرَةٍ ، وَنُعطِيَهُ سَيفًا قَاطِعًا ؛

لِلاِشتِراكِ فِى تَنفِيذِ هٰذَا الْقَتلِ . فَإِذَا ذَهَبُوا إِلَيهِ ضَرَبُوهُ بِسُيُوفِهِم ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ . وَبِهٰذَا نَقتُلُهُ وَنَستَرِيحُ منهُ . وَحِينَئِذٍ لاَ تَستَطِيعُ أُسرَةُ مُحمدٍ أَن تُقَاتِلَ جَمِيعَ الْقَبَائِلِ فِى مَكَّةَ . فَاستَحسَنُوا رَأْيَهُ ، وَاختَارُوا الْمُجرِمِينَ الَّذِينَ يُحَاصِرُونَ بَيتَ مُحمدٍ لِيقتُلوهُ . وَحَدَّدُوا اللَّيْلَةَ الَّتِى يَجتَمِعُونَ فِيهَا لِقَتْلِهِ .

عَلِمَ رَسُولُ اللهِ بِالْمُؤَامَرَةِ عَلَى قَتْلِه ، فَنَصَحَ لِصَدِيقِهِ وَحَبِيبِهِ أَبِى بَكرٍ بِالاِستِعدَادِ لِلْهِجرَةِ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ،

فَسُرَّ أَبُو بَكرٍ كُلَّ السُّرُورِ ؛ لِيَكُونَا فِي مَأْمَنٍ مَعَ الْمُسلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ . وَقَد أَسرَعَ أَبُو بَكرٍ فِي الاِستِعدَادِ لِهـٰذِهِ الرِّحلَةِ .

وَلَمَّا جَاءَتِ اللَّيلَةُ الْمُحَدَّدَةُ تَرَبَّصَ الْمُجرِمُونَ بِبَابِ الرَّسُولِ حَتَّى يَنَامَ فَيَقتُلُوهُ . وَجَاءَهُ جِبرِيلُ فَقَالَ لَهُ : لاَ تَنَمْ عَلَى فِرَاشِكَ (سَرِيرِكَ) هٰذِهِ اللَّيلَةَ . فَأَمَرَ الرَّسُولُ عَلِيًّا فَنَامَ مَكَانَهُ ، وَتَغَطَّى بِغِطَائِهِ الأَخضَرِ ؛ لِيُخفِيَ الْأَمرَ عَلَى الْأَعدَاءِ مِن قُرَيشٍ ، حَتَّى يَعتَقِدُوا أَنَّ النَّائِمَ هُوَ مُحمدٌ .

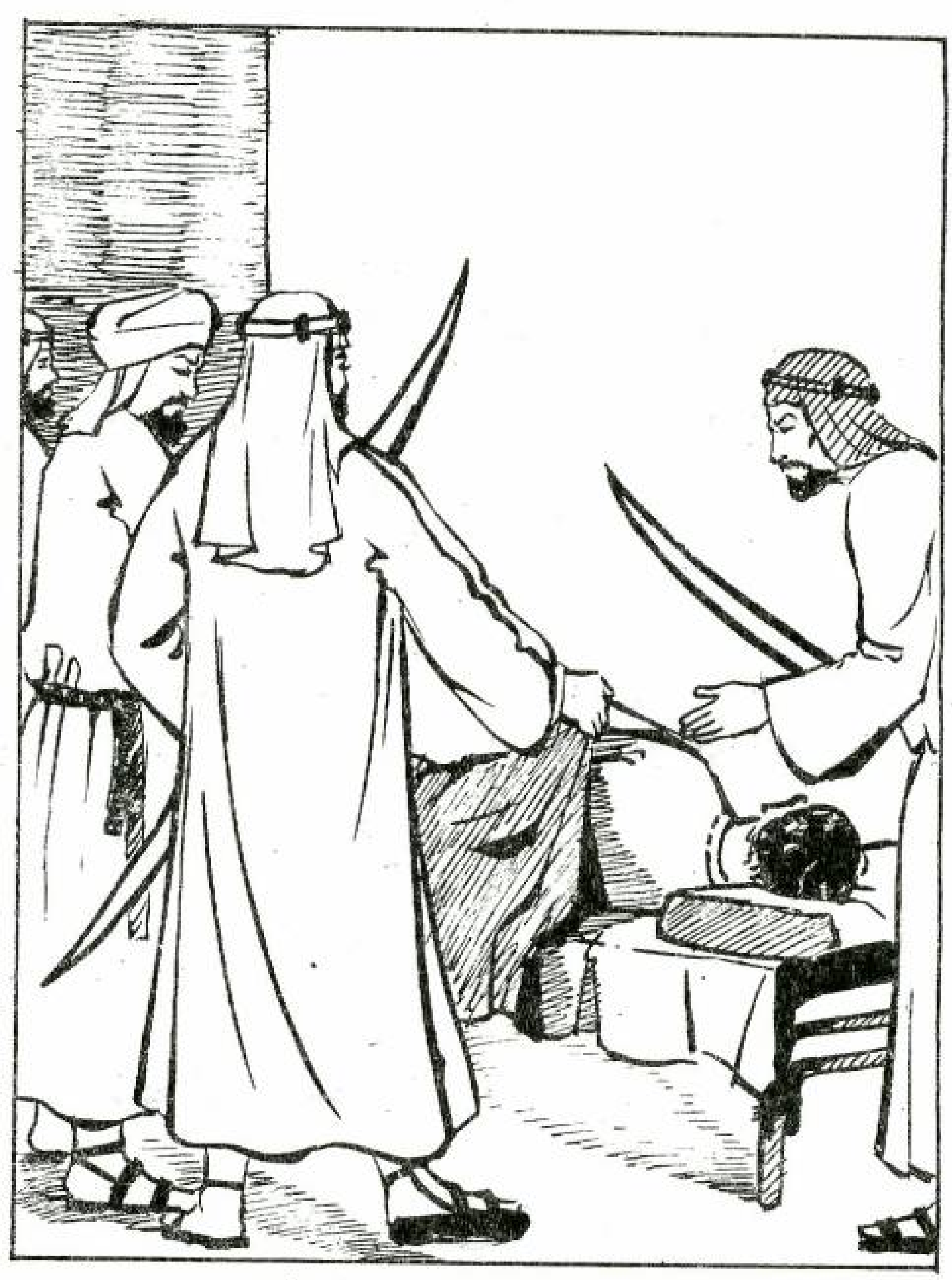
فَكَانَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلَ مَن خَاطَرَ بِحَيَاتِهِ لِكَيْ يُنَجِّيَ الرَّسُولَ مِنَ الْقَتلِ .

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ، وَقَد غَلَبَهُمُ النَّوْمَ فَنَامُوا . وَلَم يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُم .

ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكرٍ ، فَوَجَدَهُ قَد جَهَّزَ نَاقَتَينِ ، وَأَعَدَّ دَلِيلاً (مُرشِدًا) لِيَدُلَّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَحَدَّدَا لَهُ وَقتًا مُعَيَّنًا لِيُقَابِلَهُمَا فِيهِ بِغَارِ ثورٍ [١] بَعدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ .

---

(١) جَبَلٌ يَبعُدُ مِيلَيْنِ عَن مَكَّةَ ، وَعَلَى مَسَافَةِ سَاعَةٍ مِنهَا .



الكُفَّارُ يَدخُلونَ حُجرَةَ النَّوم فَيجِدُونَ عَلِيًّا نَائِمًا

وَفِى ظَلَامِ اللَّيلِ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ وَأَبُو بَكرٍ مِن بَابٍ خَلفِىٍّ صَغِيرٍ فِى بَيتِ أَبِى بَكرٍ ، وَذَهَبَا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ . وَحَمَلَ أَبُو بَكرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ . وَقَد وَصَلاَ إِلَى الْغَارِ لَيلاً ، فَدَخَلَهُ أَبُو بَكرٍ قَبلَ الرَّسُولِ ؛ لِلتَّأَكُّدِ مِن أَنَّهُ لَيسَ فِيهِ سَبُعٌ أَو ثُعْبَانٌ ؛ مُحَافَظَةً عَلَى الرَّسُولِ . ثُمَّ قَالَ : اِنزِلْ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَنَزَلَ .

فى مُنتَصَفِ اللَّيلِ :

مَرَّتِ السَّاعَاتُ فِى هُدُوءٍ تَامٍّ . وَفِى

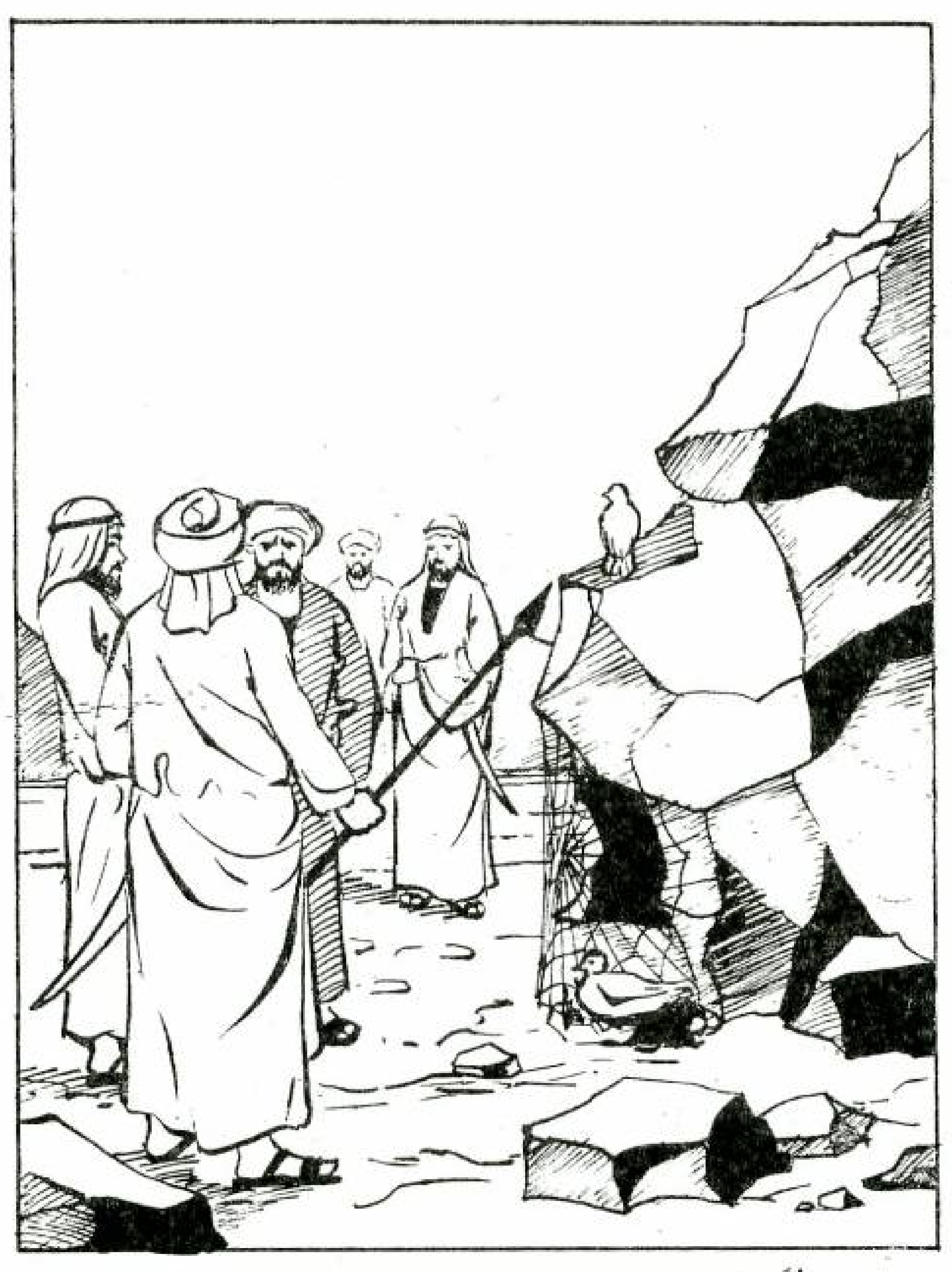
مُنتَصَفِ اللَّيلِ دَخَلَ الْمُجرِمُونَ بَيتَ مُحمدٍ ، وَسُيُوفُهُم فِى أَيْدِيهِم . وَقَد تَأَكَّدُوا جَمِيعًا أَنَّهُ لاَ أَحَدَ الْآنَ يَستَطِيعُ أَن يَحمِىَ مُحمدًا أَوْ يُدافِعَ عَنْهُ . وَأَرَادَ كُلٌّ مِنْهُم أَن يَكُونَ الْأَوَّلَ فِى الْهُجُومِ عَلَى مُحمدٍ . وَأَحَبَّ أَحَدُهُم أَن يَرَى كَيفَ تَكونُ مُوَاجَهَةُ مُحمَّدٍ لِلْمَوْتِ . فَشَدَّ الْغِطَاءَ فَوَجَدَ عَلِيًّا فوق فِرَاشِ مُحمدٍ . فَعَجِبَ الْمُجرِمُونَ وَتَأَلَّمُوا ، وَرَأَوْا أَنَّ قتلَ عَلِىٍّ لاَ يُفِيدُهُم شيئًا ، وَأَنَّ موتَهُ لَن يَمنَعَ انتِشَارَ الإِسلاَمِ .

مَاذَا فَعَلَ الكُفَّارُ بَعدَ خُرُوجِ مُحمّدٍ مِن مَكَّةَ ؟

غَضِبَ الْكُفَّارُ ، وَقَرَّرُوا أَن يُعطُوا الَّذِى يَقبِضُ عَلَى مُحمدٍ ـــ مكَافَأَةً قَدرُهَا مِائَةُ جَمَلٍ .

فَأَسرَعَ بَعضُ الشُّبَّانِ حَامِلِينَ أَسلِحَتَهُم باحِثِينَ عَن مُحمدٍ أَمَلاً فِى اللِّحَاقِ بِهِ ، وَقبضِ المُكَافَأَةِ .

اِستَمَرَّ الرَّسُولُ وَأَبُو بَكرٍ ثَلاَثَ لَيَالٍ بِالغَارِ . وَقَد أَلْهَمَ اللهُ حَمَامَتَينِ فَبَاضَتَا عَلَى وَجهِ الْغَارِ . وَأَلْهَمَ عَنكَبُوتًا فَنَسَجَتْ نَسِيجًا عَلَى بَابِهِ . فَعِندَمَا وَصَلَ بَعضُ الْمشرِكِينَ



الكُفَّارُ أمَامَ الغَارِ وَقَد نَسَجَتِ العَنكَبُوتُ عَلَى بَابِهِ

إِلَى الْغَارِ وَفَكَّرُوا فِى دُخُولِهِ تَرَاجَعُوا لَمَّا
رَأَوْا عُشَّ الْحَمَامِ ، وَنَسِيجَ الْعَنكَبوتِ عَلَى
بَابِهِ . وَقَالُوا : لَوْ دَخَلَ مُحمدٌ الْغَارَ لَكُسِرَ
الْبيضُ ، وَلَتَفَسَّخَ الْعَنكَبُوتُ ، وَسَمِعَهُم
وَرَآهُم أَبو بَكرٍ وَالرَّسُولُ . وَقَالَ الرَّسُولُ :
يَا أَبَا بَكرٍ ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟
فَاشتَدَّ حُزْنُ أَبِى بَكرٍ ، وَقَالَ : إِن قُتِلْتُ أَنَا
فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ . وَإِن قُتِلْتَ أَنتَ
هَلَكَتِ الأُمَةُ .

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ : (لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ
مَعَنَا) .